الفصل الخامس

البحث الأول : قصة ترجمة الكنزا ربا .

البحث الثاني : الفكر المندائي (النشماثا) (النفس ومن سواها)

البحث الثالث : الإيمان (الناصروثا)

البحث الرابع : ميثولوجيا مندائية

البحث الخامس : المصبتا (الصباغة)

البحث السادس : المسقثا (الارتقاء)

البحث السابع : اللوفاني (طعام الغفران)

البحث الأول

قصة ترجمة الكتاب المقدس الكنزا ربا (باختصار)

كنت فتىً يافعًا وأنا أشاهد جدي رحمه الله يصلي (يبرخ ويرشم) ويفرض علينا التعليمات الدينية ولا يسمح لنا مخالفتها، وخاصة في الطعام والشراب، وأذكر مرة في العيد الكبير اشتروا خروفًا وذبحوه بعد عدة إجراءات طقسية دينية من قبل رجل الدين، ثم رموه قائلين إن الخروف نعجة أي أنثى وغضب رجل الدين واتضح أنه لا يحق له بعد ذلك إجراء أي طقوس دينية إلى أن يصبغه عدة مرات عدة رجال دين.

وكنت أسمع من جدي وهو يتكلم لغة مندائية ويحفظ شيئًا من الكتاب المقدس والتعاليم، وبعد وفاة جدي رحمه الله لم يكترث أبي كثيرًا لتعاليم الدين ولم يتشدد معنا، ولم أسمعه يقرأ شيئًا من الكتاب المقدس... وعندما توفي والدي رحمه الله وجدت نفسي لا أعلم الشيء الكثير عن الدين وعما في الكتاب المقدس وإنما أنا صابئي مندائي بالفطرة، أو بالوراثة، أو بآصرة الرحم أو آصرة الدم، وأعرف بعض الأعراف والتقاليد الموروثة.

وعندما عملت في صفوف الطائفة وأُنتخبت رئيسًا لمجلس شؤون الطائفة؛ وجدت أن الفرصة أضحت سانحة لتحقيق بعض الأمنيات، ومنها ترجمة الكنزا ربا إلى اللغة العربية، فعرضت الأمر على أعضاء المجلس فهللوا ورحبوا وشجعوا، وكان جميعهم من وجهاء الطائفة الأكفاء، ومن هنا بدأت القصة.

١- لقد كانت فترة التسعينات من القرن الماضي من أصعب السنوات التي مرَّت على العراق بشكل عام، وعلى المندائيين بشكل خاص، فقد تدهورت الحالة الاقتصادية للعراقيين بسبب الحصار الذي فرض على العراق مما انعكس على باقي مفاصل الحياة الأخرى... حتى انحدر الوضع الأمني إلى الهاوية

وأصبح مخيفًا ومرعبًا، ومما زاد في الطين بله؛ تبني النظام الحملة الإيمانية التي استغلها تجار الدين والمنافقون لمكاسب شخصية من أجل تحقيق مآربهم.

فتعالت أصوات نشاز تتهجم على من هو غير مسلم من خلال خطب الجمعة في بعض جوامع أطراف بغداد، وبعض المحافظات، وقد وصل الأمر إلى حد التحريف والتكفير والاتهام ثم الشتائم والسب، وأصبح كل يغني على هواه، ووصلت الأمور في بعض المدن العراقية إلى حد شراء الذمم لبعض المندائيين المسحوقين ماديًا، واستغلال حاجتهم للسكن والعمل، فتم إغراؤهم بالمال الزهيد لتغيير دينهم، وبدأ هذا الموضوع يسري في بعض المدن بشكل سريع وملفت للنظر.

٢- إضافة إلى الضغوط التي تعرَّض لها المندائيون في المدارس والمجتمع المتمثلة في انتقادات واتهامات باطلة إلى الدين المندائي، وكانت تتمحور في سؤالين هما، ما هو كتابكم؟... ومن هو نبيكم؟، فكان غالبية المندائيين يقفون صامتين، وهذا لأنهم لم يطلعوا على كتابهم ولا يعرفون ما فيه من قيم وأفكار ومبادئ سامية، لكونهم يجهلون اللغة المندائية قراءة وكتابة وتحدث، وهي لغة آرامية قديمة.

٣- كما أن الهجرة الكبيرة والعشوائية التي نشطت في ذلك الوقت لأسباب اقتصادية وأمنية والتي أدت إلى توزيع المندائيين على مختلف بلدان العالم، مما يخشى على الأجيال القادمة من الانسلاخ عن ماضيهم وتراثهم ودينهم، وذلك من خلال فقدان اللغة العربية وتعلم لغات جديدة مختلفة والعيش والاختلاط مع ثقافات جديدة بعيدة كل البعد عن لغتنا وعاداتنا وتقاليدنا، ولكي يحافظ المندائي على دينه ومعتقده ولغته العربية، كان لابد أن يكون الكتاب المقدس في كل بيت مندائي للمحافظة على معتقداته ولغته وهذا أضعف الإيمان.

٤- إضافة إلى وجوب إطلاع أخوتنا من الأديان الأخرى على ديننا ومعتقداتنا وبشكل مباشر وطرح إجابات وافية وصحيحة على كل الأسئلة والاتهامات

الباطلة التي كانت متداولة في الشارع ضد الدين المندائي ، مما يعرِّض المندائيين إلى كثير من الإحراج الذي هم في غنى عنه ، وحيث أن ليس في الدين المندائي ما يعيبهم أو ما يسبب لهم إشكالاً أو حرجًا ، بل إن كل ما فيه يجعلنا فخورين أمام الجميع أننا جذر التوحيد الأول ، وأننا نؤمن بالله واليوم الآخر ، وأن لنا كتاب عظيم (كنزا ربا) ، فمن يطلع عليه ويقرأ سطور منه ينتابه الخشوع والرهبة لما يتضمنه من حب وتقديس للخالق في علاه.

٥- كما أن المكتبة العربية بحاجة إلى هذا الكتاب ليسد فراغًا في سلسلة المراجع الدينية المختلفة باعتباره أهم مرجع للديانة المندائية لكي يطلع عليه الباحثون والمؤرخون وعموم المثقفين ويفهموا أن كل ما كتب شيء والسفر المقدس يمثل الحقيقة الصادقة بأبهى صورها.

٦- كما أن المدرسة المندائية التي أسَّسها مجلس شؤون الطائفة في دورته الأولى ضمت عددًا كبيرًا من الدارسين ومن مختلف الأعمار والمستويات الثقافية ، وكانوا بحاجة ماسة إلى الإطلاع على كتابنا المقدس (كنزا ربا) بشكل واضح ومقروء باللغة العربية واعتباره منهجًا أساسيًا في التعليم.

٧- أصدرت الدولة العراقية قرارًا بإعفاء رهط من السجناء الذين قضوا نصف مدتهم ، شريطة أن يحفظوا شيئًا من كتبهم المقدسة ، فكان لزامًا سرعة ترجمة الكتاب المقدس إنقاذًا لعدد لا يستهان به من المندائيين.

٨- ومن هنا كانت الانطلاقة للتفكير بمشروع ترجمة الكنزا ربا إلى اللغة العربية ليستفيد منه الجميع ، بعد أن بدأنا بطرح سؤال: ما قيمة أي ديانة بدون نبي وكتاب؟ فصار لزامًا علينا للإجابة على هذا السؤال أن نثبت:

أولاً: أن لدينا كتاب ولنبرهن أننا أصحاب دين موحد يؤمن بالله الواحد الأحد لا شريك له ، ونؤمن أن هناك ثواب وعقاب وآخرة ، وأننا نؤمن بأنبياء الله وملائكته الأثرين المسبحين للخالق ، وأن هناك مُثل وأخلاق نؤمن بها ونعمل عليها تنسجم مع باقي الأديان السماوية الموحدة والتي نتعايش معها في مجتمعنا العراقي العربي الإسلامي.

وثانيًا : علينا أن نظهر نبينا ونؤكد مكانته الجليلة بين الأنبياء وفق ما جاء في جميع الكتب المقدسة للديانات السماوية الموحدة.

٩- تمَّت مناقشة موضوع مشروع ترجمة كتابنا المقدس في اجتماع خاص لمجلس الشؤون العام، وقدم كمقترح إلى مجلس العموم للتصويت واستحصال الموافقة عليه، فلاقى هذا المشروع تأييد وتشجيع منقطع النظير من الجميع، وأبدى الأخوة المندائيون كامل استعدادهم للمساهمة المادية والمعنوية.

١٠- وعلى هذا الأساس صدر قرار مجلس العموم الموقر بالإجماع لتشكيل لجنة عليا للترجمة من السادة بشير عبد الواحد يوسف رئيس مجلس الشؤون رئيسًا للجنة، حمودي مطشر تقي رئيس المحكمة الشرعية المندائية عضو، داخل يوسف عمارة أمين سر مجلس الشؤون عضو.

١١- باشرت اللجنة بوضع برنامج عمل لإنجاز هذا المشروع المبارك، فجمعت عدد من نسخ (الكنازي) وهيأت المستلزمات الضرورية للترجمة، من قرطاسية ومصادر وقواميس، وشكلت لجنة موسعة من جميع الأشخاص الذين لهم معرفة ودراية باللغة والدين المندائي آنذاك... وباشروا عملهم وعقدت سلسلة اجتماعات ولكن بعد حين انفرط عقد اللجنة بسبب تباين الآراء والبطء الشديد في الترجمة.

١٢- عرض د. محمد عبد الله عبد الشيخ أن يقوم بالترجمة من النسخة الألمانية التي كان قد ترجمها (ليذربارسكي) أوائل القرن الماضي من المندائية إلى الألمانية، كونه يتقن اللغة الألمانية، فتم الاتفاق ولكن بعد الإطلاع من قبل اللجنة وعدد من مثقفي أبناء الطائفة، تمَّ رفض الترجمة لأنها جاءت من الألمانية إلى العربية علمًا أنها مترجمة من المندائية إلى الألمانية، كما أن هناك فراغات كثيرة وأن الترجمة قد ابتعدت كثيرًا عن الجوهر والمعنى والروح المندائية.

١٣- اتفقت اللجنة مع الأستاذين الفاضلين : أ.د. يوسف متى قوزي ، أ.د. صبيح مدلول الخميسي ؛ لكون د. يوسف قوزي متخصصًا باللغات السامية وتحديدًا الآراميات، ولكونه سريانيًا ولقرب السريانية من المندائية بشكل كبير، وكون د. يوسف يملك مؤهلات عالية في هذا المجال وله ترجمات كثيرة وكبيرة ناجحة ومشهود له بالأمانة والدقة والمطاولة والحياد، وهو عالم لغات بمعنى الكلمة، وذو خبرة واسعة يشهد له الجميع وأستاذ ناجح للغة المندائية في كلية اللغات جامعة بغداد، ولردح من الزمن تخرج على يديه رهط من الأساتذة المعروفين، وأيضًا د. صبيح أستاذ اللغة العبرية في كلية اللغات جامعة بغداد، ويجيد اللغة الألمانية وله عدة مؤلفات مندائية وعدة كتب مترجمة، وتم تنظيم عقد أصولي بين الطرفين ، الطرف الأول رئيس اللجنة بشير عبد الواحد وعضو اللجنة حمودي مطشر، والطرف الثاني د. يوسف ود. صبيح.

١٤- استغرق العمل بالترجمة الحرفية سنتين ونيف ، تمَّ استغلال دار في مزرعة في أطراف بغداد يملكها عضو اللجنة السيد حمودي مطشر الذي هيأ كل مستلزمات الضيافة والخدمة لكافة العاملين في هذا المشروع النبيل، وكانت اللجنة تتابع أعمال الترجمة كلمة كلمة وسطر سطر ، وكان د. يوسف متعاونًا بشكل جميل، ولقد تطوع للعمل في هذه المرحلة المهمة المحامي غريب مهتلف وأستاذ اللغة العربية مجيد جابك.

١٥- قمنا بعدة محاولات لصياغة الترجمة الحرفية كان أحسنها صياغة الأستاذ مجيد جابك الذي اعتمد الأسلوب السردي، ولاحظت اللجنة أن النصوص بهذا الأسلوب لا تحدث خشوعًا أو رهبة عند قراءتها.

١٦- بعد مناقشات مستفيضة تمَّ الاتفاق مع الشاعر المندائي عبد الرازق عبد الواحد، لأن النص المندائي في كتابنا المقدس مكتوب شعرًا في أغلب الأحيان، وهو موزون بشكل رائع وجميل.

١٧- اعتمدت اللجنة الشاعر عبد الرازق ليقوم بالصياغة الأدبية للترجمة، بعد أن تأكد لنا أن الصياغة الأدبية على يد شاعر مثل عبد الرازق ستساعد الترجمة الحرفية على وضوح المعنى ودقة العبارة مع التأكيد على التقيد بأمانة على روح النص وجوهره.

١٨- هيأت اللجنة كل مستلزمات العمل واعتكف الشاعر في مكتبه في الطابق العلوي من داره بعد أن فرغ نفسه بالكامل لهذا العمل الجليل، وهيأ المعاجم والمصادر التي يحتاجها رغم شاعريته الكبيرة ولغته العربية الجزلة وإلمامه الكبير بمفردات اللغة العربية، وقد وصفه الشاعر الكبير أدونيس في إحدى المناسبات أن الشاعر عبد الرازق أثرانا مفردات لغوية.

١٩- هنا أضيف إلى اللجنة كفاءة جديدة كانت اللجنة بحاجة ماسة لها، السيد نزار ياسر صكر رئيس تحرير مجلة آفاق مندائية، الذي ساهم بفاعلية عالية في متابعة الصياغة الأدبية والخط والطبع.

٢٠- واصل الشاعر العمل ليل نهار، وكنا نناقش معه النص عدة مرات وأحياناً يتطلب الأمر إعادة كتابة النص مرات ومرات، وكنا نستمتع بقراءة النص.

٢١- أبدى الشاعر تعاوناً منقطع النظير مما أغرى اللجنة أن تطالبه المزيد من الإبداع، واستمر بالعمل على ضوء الشموع بسبب انقطاع التيار الكهربائي، وعشنا معه أجواء روحانية لا تنسى، وكان سعيدًا معنا وفرحًا بهذا الإنجاز الكبير، حنى قال ونشر في إحدى الصحف إنه عمل كبير سيكون مجد حقيقي له وللعاملين بهذا المشروع.

٢٢- تمَّ الاتفاق على الإبقاء على بعض المصطلحات المندائية لإعطائها النكهة المندائية وخاصة المصطلحات المتداولة بين المندائيين بناء على مقترح من د. صبيح مدلول، وخاصة الكلمات الأساسية في السفر المندائي مثل: (هي، يردنا، نشماثا، أثري... إلخ).

٢٣- شكلت لجنة الترجمة لجنة أخرى أسمتها (لجنة التدقيق والسلامة الفكرية)، واجبها مراجعة جميع النصوص التي تمَّت صياغتها ومقارنتها بالترجمة الحرفية وتدقيقها وإبداء الملاحظات والآراء لغرض توخي الدقة والأمانة واتفاق الآراء على الضوابط المعلنة سلفًا في عملية الترجمة والصياغة الأدبية وهي:

أ- إبراز مبدأ التوحيد في النصوص وإظهار ذلك بشكل واضح وجلي.

ب- التأكيد على الأهمية التاريخية لمواد الكتاب وتسلسلها الزمني حسبما ورد في الكتاب المقدس وأن التواريخ فيه لا تتقاطع مع التاريخ العام.

ج- إظهار حقيقة الديانة المندائية المحبة للسلام والتعايش وأنها لا تتقاطع مع الديانات الأخرى.

د- أن تكون الصياغة والترجمة أمينة ودقيقة لتزيد المندائي إيمانًا وتمسكًا بدينه ووحدانية الحي العظيم.

هـ- يجري تقييم كامل وشامل للكتاب للتأكد بأن هذه الترجمة ستنقل الطائفة والدين المندائي نقلة نوعية للأمام وبعكسه سوف لن تعتمد الترجمة، وقد تمَّ تأليف اللجنة من السادة: (د. أنيس زهرون- أمين فعيل حطاب- سميع داوود- همام عبد الغني- صلاح جبار عوفي)... مضافًا لهم لجنة الترجمة (بشير، حمودي، نزار)، وكان الشاعر عبد الرازق ضيف اجتماعاتها في مندي الطائفة في القادسية لساعات متأخرة من الليل.

٢٤- قام السيد بشار حربي سكرتير مجلس العموم آنذاك بالطلب من رئيس الطائفة الكنزفرا ستار جبار حلو أن يبارك هذا الإنجاز بكل حرية وبناء على طلب مجلس العموم بارك رئيس الطائفة الترجمة، وثبتت كلمته في صفحات الكتاب الأولي واللجنة تحترم وجهة نظره.

٢٥- لقد حررنا هذه النصوص الرائعة وأخرجنا هذا الكنز ونفضنا عنه غبار القرون المتعاقبة، فمن حق جميع أبناء الطائفة أن يفخروا بعد أن نال إعجاب المندائيين وغير المندائيين، واعتبر إنجاز لا يقدر بثمن.

٢٦- ولكي يكون إنجاز هذا المشروع صوتاً مدويًا ؛ قررت اللجنة إقامة احتفالية كبيرة ورائعة في قاعة المندي في القادسية احتفالاً بصدور الكتاب المقدس بطبعته العربية الأنيقة، وتدافع أعضاء المجالس لإنجاح الاحتفالية، تمَّ دعوة عدد كبير من نجوم المجتمع العراقي السياسية والثقافية والفنية والإعلامية والسلك الدبلوماسي العربي والأساتذة والأدباء والعلماء والباحثين وحضرته عدد من الفضائيات ووجوه وشخصيات مندائية كثيرة وقد تمَّ ذلك في ٧-١-٢٠٠١ مساء، ولقد أقيم معرض في باحة المندي وزين المندي والقاعة وألقيت كلمات قيمة ووزعت هدايا كثيرة منها شهادات تقدير، وتم قراءة بعض البوث (الآيات) بصوت الشاعر عبد الرازق... لقد عملت اللجنة ومن دعمها ومجالس الطائفة كخلية نحل، لقد كان صدى الاحتفال رائعًا في جميع الأوساط، وقامت وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة بنشر ونقل الاحتفالية وأصبح الحلم حقيقة.

٢٧- لقد اكتسب الكتاب المقدس الصفة الرسمية بعد أن وزعت أعدادًا منه على المراكز العلمية والأدبية والرسمية والجامعات والقضاة والمراجع الدينية والمكتبات وعدد من الرؤساء والسفراء، وأعطت عددًا من النسخ إلى وزارة العدل ووزارة الأوقاف والشؤون الدينية، واعتبرت الدولة العراقية كتاب الكنزا ربا كتابًا مقدسًا للصابئة المندائيين، لما يحويه من مفاهيم للتوحيد وعبادة الخالق ووصايا تخدم الناس والإنسانية جمعاء، وصدر أمر أن تحفظ نسخة منه بطريقة علمية في صندوق مفرغ من الهواء ومختوم بالشمع مع الكتب السماوية الأخرى، ليكون مرجعًا لمئات السنين المقبلة.

٢٨- تمَّ طبع أعداد كبيرة من الكتاب ولكن رغم أعدادها فهي قليلة، بعدها تمَّت ترجمة كتاب تعاليم نبي الله يحيى (دراشة أديهيا)، وقام بالترجمة الأستاذ أمين فعيل وصياغة الأديب سميع داوود وبإشراف اللجنة العليا للترجمة، وتم طبع أعداد منه وزعت في الداخل والخارج.

٢٩- لقد كان لهذا المشروع الكبير الأثر في تعزيز موقف المندائيين في العراق في أيام صعبة مرَّت على الطائفة يعرفها كل من لم يغادر العراق، لقد كان أول رد فعل لصدور الكتاب هو أننا لم نلاحظ نهائيًا أي إمام جامع في خطبة الجمعة أو غيرها التعرض للدين المندائي أو للمندائيين... وكانت اللجنة حريصة أن يصل الكتاب المقدس إلى كل المراكز العلمية والأدبية في العراق وخارجه، لقد أحدثنا ثورة إعلامية إيجابية وهكذا تأكد للجميع أن الصابئة المندائيين أصحاب كتاب وموحدين نؤمن بالله واليوم الآخر وبأنبيائه ورسله وملائكته.

٣٠- لقد أصبح الكتاب المقدس ملك الجميع يقرؤونه ويفهمونه من الغلاف للغلاف، بعد أن كانوا لا يعرفون محتواه وهو كنز من كنوز المعرفة والفلسفة واللاهوت ، وأن صياغته بلغة عربية سليمة ومتقنة أعطى لقارئه قوة البيان والتعبير وأفاد في كثير من الأمور:

أ- لقد أصبح سلاحًا ومرجعًا عند كل بيت ليزداد إيمانًا بالحي العظيم، ولكي تتعزز حصانته وقدرته على مجادلة الآخرين بالتوحيد وبما يحتويه من وصايا وتعاليم.

ب- أثبتت ترجمة الكتاب كون الصابئة المندائيين أناس موحدين وهم جذر التوحيد الأول ، لا كما ألصق بهم من تهم وافتراءات مثل عبادة النجوم والكواكب وغير ذلك ألصقها بهم ظلمًا وافتراء القطيعي وعبد الرازق الحسيني لمرض في نفوسهم.

ج- ظهور هذا الكتاب المقدس باللغة العربية يفيد أبناء الطائفة المغتربين بالحفاظ على هويتهم المندائية ولغتهم العربية.

د- زاد من إيمان قارئيه وحافظي نصوصه وأثر بتطوير وتحسين لغتهم العربية.

ه- بعد أن اطلع إخوتنا من الأديان الأخرى على الكتاب ؛ ازداد تقديرهم واحترامهم لإخوانهم المندائيين لما وجدوا فيه من مثل وقيم ومبادئ سامية...

من أجل كل هذا ترجم الكتاب المقدس (كنزا ربا) والله ولي التوفيق.

* * *

المصدر:

١- قصة ترجمة كتابنا المقدس (كنزا ربا)... اللجنة العليا للترجمة- بغداد ٢٠٠١.

٢- أرشيف الطائفة.

السفر العظيم يظهر إلى النور

كلمة الدكتور بشير عبد الواحد يوسف

رئيس اللجنة العليا للترجمة التي ألقاها في الاحتفال

سيداتي سادتي الكرام...

قال ملك النور السامي فكان كل شيء، رُفعت السماء وبُسطت الأرض ووُهبت الشمس ضياءً ووُهب القمر بهاءً، والنجوم سناءً، ورفعت كل إلى مدار... وتكونت العواصف والماء والنار، وتكونت الثمار والأعناب والأشجار، وتكون الحيوان الأليف والوحش الكاسر، ومن التراب والطين الأحمر والدم والمرارة ومن سر الكون جبل آدم وحواء، وحلت فيهما النفس بقدرة ملك النور.

أمر الله سبحانه الرسول الطاهر جبرائيل (منداهيي) أن اذهب وناد آدم وحواء زوجه بصوت سني، علم آدم ليستنير قلبه وقومه ليستنير عقله وجنانه، علمه يا جبرائيل وزوجه وذريته الحكمة كيلا يغويهم الشيطان، علمهم الصلاة يقيمونها مسبحين لملك النور السامي، ثلاث مرات في النهار، ومرتين في الليل، قل لهم اتخذوا لأنفسكم أزواجًا وتناسلوا منكم ليزداد عددكم... ومنداهيي يعلم آدم وحواء وصايا الرب وتعاليمه وآدم وحواء يمجدون ويعظمون ويسبحون خالقهم ويشكرون كثيرًا ويحفظون وصايا الرب في الصدور.

قال الحي وهو مستوٍ على عرشه بين أنواره: ليكن الموت من نصيب أهل الدنيا إن آدم عاش ألف عام، فليخرج من جسده قبل أن يشيخ، وقبل أن توهنه الأسقام... ونفذ الصوت... نحن نسميه الحق وأنتم تسمونه الموت.

إخوة الإيمان : في البدء وهب النداء لآدم، لآدم وهب النداء، فكانت كلمة واحدة وشهادة واحدة، بعدها أخذ العالم بالسيف والوباء، فأذن للنفوس أن تخرج من أجسادنا ذلك الخروج لتصعد حيث النور، ويبقى رام وزوجه رود فيحيا بهما

العالم، وقدرنا لرام أن يعيش ألف عام، بين آدم ورام ثلاثون جيلاً، ثم يؤخذ العالم بحريق النار، وتخرج النفوس كلها من أجسادها، ولأنها لم تكذب بالنداء الأول ولم تغير الكلمة الأولى تصعد إلى النور، ويحيا العالم ويمور، خمسة وعشرين جيلاً بين رام ورود وشورباي وشرهبيل، بعدها يؤخذ العالم بالطوفان، فتصعد النفوس إلى النور، ويبقى نوح وسام بن نوح خمسة عشر جيلاً بين نوح وشورباي، والبشر من سام بن نوح ونهوريتا زوجته يتكاثرون ويستمرون إلى أن يأذن الله فتقوم الساعة.

سادتي الأفاضل: لقد مرَّت أجيال وأجيال وهذا السفر العظيم بقي محفوظًا إلى أن هيأ الله جلت قدرته أبناء بررة، وبعد أن تهيأت الظروف الملائمة المعنوية والمادية والكفاءات الأمينة الصادقة... وبعد أن أجمع الجميع على ضرورة نشر هذا السفر العظيم ليكون على لسان كل المؤمنين بالحي العظيم.

أيها الحفل العظيم: لم يكن هذا الإنجاز بالأمر الهين السهل على اللجنة العليا المشرفة على الترجمة التي تشرفت برئاستها، فلقد بذلت جهود وأموال ووقت ومطاولتها وجهودها بالنجاح والتوفيق، لقد حرصنا وبكل صدق وأمانة أن تكون الترجمة الحرفية أمينة ودقيقة، وكان المترجمون عند حسن الظن، فلقد أجادوا كل الإجادة، كما حرصنا أن تكون الصياغة اللغوية بلغة عربية فخمة لكون كنزا ربا نزل بلغة مندائية راقية، حتى قال عنه المستشرقون إنه من روائع الأدب، ورغم قوة ومتانة الصياغة الأدبية ورقيها عملنا جاهدين أن يكون كلام الحي الأزلي مفهومًا لدى عباده.

إن اللجنة قد وضعت نصب عينيها أمانتين: الأولى أن يرتقي المترجمون واللغويون كبشر إلى فهم تام لجوهر النص الديني، والثانية أن نضع كلام الحي العظيم أمام المؤمنين بالله وكتبه ورسله...

أيها الأخوة... لقد أنجزنا هذا العمل الجليل وقدمنا هذا الكنز الثمين ليسد فراغًا كبيرًا في حقل المعرفة الدينية، مركزين على وضوح العبارة وفخامة الصياغة

الأدبية والأمانة لروح وجوهر النصوص الأصلية ودقة المعاني، ولذا آثرنا أن تبقى بعض الكلمات المندائية كما هي زينة للكتاب المقدس.

سادتي الكرام: لقد وقع اختيار اللجنة على الأستاذ الدكتور يوسف متى قوزي والأستاذ صبيح مدلول السهيري وكونهما من أبرز المختصين بالآراميات لإنجاز الترجمة الحرفية من اللغة المندائية إلى اللغة العربية مباشرة، وقد تمَّ ذلك بكل دقة وأمانة، فحيوا معي هذين الأستاذين الفاضلين، كما اختارت اللجنة الشاعر المندائي الكبير عبد الرازق عبد الواحد لإنجاز الصياغة اللغوية، حيوا معي هذا الشاعر الكبير الذي ارتقى إلى جوهر النص الحرفي، وقد صاغه بأدبه الرفيع ولغته الراقية، وكان مع اللجنة العليا متواضعًا ومتعاونًا إلى أبعد الحدود.

إخوتي الكرام: تحية إلى أعضاء اللجنة الأساتذة حمودي مطشر تقي، وداخل يوسف عمارة، ونزار ياسر صكر لجهودهم المتميزة وتضحياتهم الكبيرة، وتحية إلى أعضاء لجنة التدقيق والسلامة الفكرية الأساتذة الدكتور أنيس زهرون داغر وأمين فعيل حطاب وسميع داود سلمان وهمام عبد الغني غياظ وصلاح جبار عوفي، وبصفتي رئيس اللجنة العليا للترجمة أحيي الجميع وأبارك جهودهم، وأحيي كل من قدم الدعم المعنوي والمادي داخل العراق وخارجه، ورجال الدين الأفاضل، وأخص بالذكر وبكل امتنان رئيس الطائفة فضيلة الشيخ ستار جبار حلو، وكذلك سكرتير مجلس عموم الطائفة الأستاذ بشار حربي درويش... وأعضاء مجالس الطائفة عمومًا الذين وقفوا موقفًا مشرفًا من هذا المشروع.

في رحاب الكنزا ربا [1]

لا شك أن صدور الترجمة العربية لكتابنا المقدس قد شكَّلت انعطافة تاريخية مهمة في حياة أبناء الطائفة؛ خاصة إلى المكتبة العربية والفكر الإنساني عمومًا وقد فتحت الترجمة باب واسع عريض لكل الشغوفين بمعرفة الديانة المندائية معرفة دقيقة متبصرة، تزيح ستار الغموض والسرية الذي غلفها قرونًا طويلة بات فيها – أو كاد أن يكون– (حاشا قدره) طلسمًا لا يمكن فك رموزه وفتح مغاليقه للناطقين بلغة الضاد.

وكان الإيمان بالكتاب المقدس ومضمونه إلا شذرات طرزت هنا وهناك بعض من كتب المؤلفين المندائيين، وقد سطرت حوله الحكايات والروايات الشبيهة بالخيال الأسطوري والتي لا تمَّت بصلة إلى جوهره المنطقي الرصين وبسبب هذا الجهل الفاضح آنذاك أعطيت إجابات متباينة حول أسئلة بديهية تتعلق بالخلق والبعث والميعاد والدينونة، وكنا نساوق إجابتنا حولها مع الطروحات اللاهوتية والفلسفية للأديان الأخرى دون أن نستطيع إبراز هويتنا الفكرية المندائية وخصائصها المحددة التي وإن كانت لا تتباين إلى حد التناقض مع الأديان الأخرى إلا أنها لا تتطابق إلى حد الاستنساخ عنها، ولا أخفي القول إن رجال ديننا حينذاك قد تملكتهم رغبة قوية في الاستئثار بمعرفة الكتاب المقدس ولم يكبدوا أنفسهم جهد العناء في ترجمة أجزاء واسعة منه فبقيت مغاليقه عصية على الفتح أمام العقول الطامحة لقرائته وفهمه ودرسه واستيعابه، والآن وبعد أن أصبح واقعًا بين أيدينا وبلغة عربية مفخمة سليمة آن لنا أن نسأل هل مازلنا ننظر إليه كتابًا للتبرك واليمين القسم فقط، أم أننا بدأنا قراءته قراءة جادة واعية متبصرة لندرك ونطبق تعاليمه الثرية المحيطة بكل شؤون دنيانا وآخرتنا...

---

[1] – كتب الأستاذ بشار حربي عدة مقالات في رحاب الكنزا ربا ، نذكر شيئًا منها.

إن ما تضمنته دفتا (كنزا ربا) بجزئيه اليمين واليسار لهو كنز رباني عظيم في عرفانيته وتجلياته وسلاسة منطقه وشمولية رؤيته وحججه الدامغة في التوحيد ووصاياه التي تمثل دستورًا متكاملاً للحياة المندائية المؤمنة النقية الطاهرة ومثاليته غير الموهومة وثراه في الأمثال التي هي خلاصة الحكمة الإلهية وشرحه الوافي للحياة الأخرى بعد الموت وتشريعاته التي تصلح لكل زمان، فالإنسان هو الإنسان نفسه منذ آدم عليه السلام حتى يومنا هذا بغروره وجبروته، بتواضعه وضعفه وتقواه ورذيلته والقوانين الإلهية التي تملأ كنزا ربا تشذب سلوكه وتسمو بشخصيته إلى علياء الكمال، وهي السبيل والوسيلة لرضا الحي العظيم لأنها بها وحدها ترتقي النفس سلم النجاة لعالم الأنوار البهي السامي في تبتله ونقائه وطهارته، وقد جاء في التسبيح الثالث لكنزا ربا اليمين (كل حي له نفسه يصطفيها * يتعهدها ويقيها * لا تكن في خطيئتها ثاوية * إن أراد الخلاص من الهاوية)... هي إذن مسؤلياتنا الذاتية فقط في أن نعلم ونفهم ونطبق فننجو ولا مناص من الحساب.

وها هو طريق الإيمان تبصرة للنفوس المؤمنة الراضية المسبحة للرب في علاه والتي سمعت فأطاعت وأُمرت فخشعت لمن تفرد في سناه تُهلل له بكرة وعشيًا وتنشد له النشيد الانعتاق من قيود عالم الظلام (العالم باطل وملكه زائل لا بقاء لذهبه وفضته لا لدمعته ولا لابتسامته)... كنزا ربا.

فمتى ستستكين نفوسنا وتبرأ ضمائرنا ولا ننشغل بأهوائنا وأنفسنا ولا نتعثر بخطايانا فننصرف إلى النار المحرقة، إن تمسكنا بإيماننا وأفلحنا بتقوانا زال عنا الكدر والعناء وشاع فينا الاطمئنان والصفاء، هذه هي الكنزا ربا تأمرنا فتقول (اسمعوا واعلموا بما أوصيكم... فإن لم تسمعوا أو سمعتم ولم تعلموا فهي الظلمة التي وقع فيها الأشرار تقعون، إنهم باقون فيها لا يصعدون)

اليمين – الوصايا

فلنشنف أسماعنا بقول الحي الأزلي ولتضيء قلوبنا حروف النور الممجدة في كنزنا العظيم كي يتبدد ظلام عالمنا البهيم.

الكنز الثمين -

سفر نفيس فيه من الأدب الكريم والتجلي السامي ما يرقى إلى التسبيح بحمد الله والثناء على الحي القيوم بديع السماوات والأرض ، ودليل إيمان قويم يزكي اعتقاد لطائفة من الربانيين ويفردهم بتمييز ، بل يجعل منهم أمة من الناس بسماتها الظاهرة وقيمها العامرة وتقاليدها التي كانت نقلة في الحياة الإنسانية ، فيها من التطهر الروحي والجسدي ما يتسق في الدين الذي تلقاه الأنبياء والمرسلون تنزيلاً من رب العالمين.

لقد غبطت نفسي حقًا وأنا أتناول هذا الكتاب الكريم من يد الأخ الفاضل نزار ياسر ، وكأني أتلقى بعض صحف منشرة من أيدي سفرة كرام بررة ، وما كدت أدير عيني في سطوره وأنصت لحكمه وأتذوق الكلمة وأكاد أفقه بيان تسبيحه وحمده وابتهالاته ، وأتأمل حروفه ونسقها ، معانيه التي ترقى بالروح إلى بارئها الحي العظيم نور السماوات والأرض ؛ حتى عدت أدراجي أتذكر الأيام وأجول في بقايا الذاكرة من الطفولة والصبا ، وملتقيات الشباب والأدب وما يغذي الأذهان ويمنح البرهان من آلاء الرحيم الرحمن ، الذي خلق الإنسان وعلمه كيف يكون خليفة في الأرض...

ورأيتني أتلو من القرآن الكريم قوله تعالى : (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ)[1]... ثم أعود لأسلم نفسي للذكريات على هدى وبصيرة من الله ، لقد كانت ربعة هلي في الحاوي متميزة بين الرباع والدواوين يغشاها الناس طوال السنة ، وفيهم أنماط من

– وهذا الأستاذ الجليل مصطفى نعمان البدري أستاذ علوم القرآن والأدب الحديث جامعة بغداد؛ يدلو بدلوه بكل أمانة وصدق وإنصاف كعراقي عربي يحب الله والمؤمنين ويؤمن بما أنزله الله على أنبياءه الصادقين ، فبارك الحي العظيم به وبأمثاله...).

١- القرآن الكريم : سورة البقرة -لآآية ٢٨٥

المشايخ والفضلاء ، وذوي المكانة الاجتماعية والصدارة القومية والكُتاب والأدباء ، كذلك السائحون والفقراء بأزيائهم المختلفة ، وسحناتهم المتغيرة ، وألسنتهم التي تتفاصح تارة وترطن أخرى ، وكنت أجد من البهجة في تأمل أولئك بأوضاعهم ما يزيدني معرفة وإطلاع على كثير من الأحوال...

وأذكر يومًا رجلاً ذا لحية كثة سوداء وهندام وقور واحتشام، يقترب من الدار ، يقص الربعة ، وقد اختلف الأولاد من حولي في صفته (صبي) أم (صابئي) حضر أبي فجأة ليحسم الأمر بقوله : إنه صابئي فأكرموه ، وقد بقيت صورته المهيبة وحديثه الجميل عالقين في ذاكرتي إلى اليوم !... فكلما مررت بسوق للصاغة خاصة مددت عيني أستطلع لعلي أظفر بصورة ذلك الصابئي الأول الذي شاهدته بين من تجول النواظر فيهم.

وحدث أن التقيت بنخبة طيبة مثقفة من الصابئة يحاولون تعريف أنفسهم ، وسرني أكثر أن معي كتاب قديم فيهم ناولتهم إياه ليكون عربون التعارف ، وفرصة اللقاء وطي بعض الفُرقة وأسباب الخلاف بين جيلين !

وتوالت الأيام وأنا ألحَّ في الطلب إليهم أن يكونوا عند حسن الظن بأنفسهم أولاً ، وتهيئة كتاب في هذا الشأن ، بل أن يفتشوا عن (الكنز العظيم) الذي أخفته ضلة الأيام ، ولم أكن أتصور أن تبلغ الهمة فيهم مثل هذه الدرجة العالية التي اندفع بها المخلصون الجادون يحققون أمنية الأماني ، ويصدقون الله والتاريخ والإنسانية بإثبات وجودهم الاعتقادي ، ودينهم التوحيد وسبيلهم القويم في الحياة الحرة الكريمة التي ميز الله بها بني آدم على سائر خلقه.

لقد ناولني أمين تحرير الآفاق المندائية ثمرة يانعة من جهده ورفاقه في هذا الشأن الجليل ، وأنا في غمرة الدعوة إلى إيضاح وحدة التفكير والاعتقاد التي كانت عليها الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه ، وحوار نوح إلى الله أن ينجيه وقومه من الغرق ، وتلقي إبراهيم للصحف ، وأخذ موسى للألواح ، وتعميد يحيى للأجساد والأرواح ، وبشرى عيسى ، واكتمال الإنسان المحمد الصفات ،

وقال الله سبحانه في هذا السبيل: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)[1]... وحين يجيء كتاب يحيى مصدقًا لما بين يديه وكانه تسبيحة البشرى السابقة للبشريات وصفات الله العظيم فيه، وابتهالات المؤمنين الصادقين بآدابها وأنغامها وتجليات الأرواح فيها، فإنما هي الانعطافة الأمينة على السبيل السوي والطريقة المثلى في التفكير الإنساني السديد.

لا أريد في هذه العجالة المقدمة بين يدي دراسة الموضوع وعقد الموازنة وذكر المتشابهات، ولا أريد التقريظ، وإنما ذلك ما سيتناوله البيان بأكثر من عرفان وأوعب دراسة وأزهى أدب بإذن الله، يتوفر عليه من يؤمنون بأنفسهم أولاً فيعرفون الله حق المعرفة بعبادته والإخلاص فيها بالعمل الصالح، فلا يطغى طين على طين!

وإنما أذكر شيئًا واحدًا: لقد اكتشف (كنز الرب العظيم) فما على المؤمنين حقًا إلا الإطلاع عليه، والاضطلاع بفقهه وتدبر وتأمل معانيه، فإنها لتذكرنا جميعًا بما كان عليه المرسلون جميعًا من اتزان الضمير وسلوك الوجدان الأمين على القسطاس المستقيم – والقرآن – الكتاب المحفوظ خير شهيد، (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ)[2]...

تبقى عندي ملاحظتان؛ الأولى: كان بودي لو يورد الأصل بلغته العارابية القديمة (الآرامية)، وحروفه المندائية مقابل كل صفحة من الترجمة العربية الحديثة، للثبت من المعاني والتوفيق فيها، الثانية: ألا يتسارع النقد بالمآخذ والحذلقات على التراجمة، فحسبهم حسنة الاجتهاد التي تمحو السيئات جميعًا، وكم تمنيت أيضًا أن تشمل الترجمة المصطلحات أيضًا، وتورد بلغتها الأصلية جانبها أو في الهامش، وعسى أن يتلافى ذلك في نوع من المراجعة والتفسير... وعلى الله قصد السبيل.

١- القرآن الكريم: سورة البقرة - الآية ٦٢
٢- القرآن الكريم: سورة البقرة - الآية ٢٥٧

- **توضيح عن الترجمة**

حقيقة أننا لجنة الترجمة والأساتذة المترجمين وقفنا كثيرًا عند جملة (ما كان لأنه ما كان ولا يكون لأنه لا يكون)... وحصل نقاش طويل بين دكتور صبيح ودكتور يوسف ونقاش طويل بينهم وبين اللجنة المشرفة ، وكُلفت شخصيًا بالذهاب إلى كلية بابل لمناقشة الدكتور يوسف حبي رحمه الله، وذهبنا سويًا إلى المجمع العلمي السرياني وتشاورنا مع الكثير من الأساتذة والمختصين في المتحف العراقي ومكتبة المتحف... وقالوا يعتبر الأستاذ يوسف متى قوزي حجة في اللغة السريانية وحجة في اللغة العربية ، ونحن مع هذا النص ، ثم أعيدت المناقشة عند الصياغة مع الشاعر عبد الرازق عبد الواحد رحمه الله، وتم تفسيرها له من قبل المترجمين وناقشها الرجل لغويًا واقتنع بالنص.

حقيقة أنا لم أكن مقتنعًا بأي تغيير بنصوص صياغة الكنزا ربا، ونحن اتفقنا من يبحث عن الدين ، فهناك الكنزا ربا باللغة المندائية ، فليتعلم اللغة المندائية على أصولها ويقرأ... وأنا كتبت في حينها إلى فضيلة الريش أُمة ستار جبار رئيس الطائفة، ومن جملة ما قلت :

لفضيلته إنه في زمن عبد الملك بن مروان أرادوا أن يصححوا بعض العبارات نحويًا ولغويًا في القرآن الكريم ، فقال أشيروا مالك بن أنس في المدينة وخذوا برأيه (لا فتوى ومالك في المدينة)... فأشار عليهم الفقيه مالك دعوا القرآن كما هو واجتهدوا في تفسيره...

عندما رأيت دكتور قيس مُصرًا على التغيير من خلال الأخ نزار ياسر وله من يؤيده؛ لم أحب أن أقاطع وأحصل على نصيبي من النقد السلبي الذي أخشاه... فخولت الأخ نزار بذلك... ورغم قناعتي باقتدار الدكتور قيس ومكانته اللغوية؛ كان من الأفضل أن يبذل جُهدًا في تفسير بوث الكنزا ربا ويحافظ على النصوص، لكي لا نختلف، ممكن أن نجتهد بالتفسير ولا نجتهد بالنص.

ثم شكلنا اللجنة المشرفة في عام ١٩٩٧ من السادة بشير عبد الواحد يوسف وحمودي مطشر وداخل يوسف عماره، ثم انضم الأخ نزار ياسر الحيدر، تعبنا في البحث عن الذين يجيدون اللغة المندائية للشروع بالترجمة فلم نفلح، واضطررنا لتشكيل لجنة موسعة من الأساتذة الذين لديهم إلمام باللغة المندائية فلم ننجح، مما اضطرنا أن نستعين بالأستاذ الدكتور يوسف متى قوزي لسببين: الأول لكونه سرياني، والثاني لأنه متخصص في الآراميات لقرب اللهجة السريانية من المندائية جدًا، وطلبنا من الأستاذ الدكتور صبيح مدلول أن يعملا معًا، يكمل أحدهما الآخر، ورجونا الأستاذ صبيح أن يحافظ على المصطلحات المندائية، وقد بذلت جهود كبيرة لإنجاز الترجمة الحرفية، وكنا نتمنى أن تصاغ لغويًا من قبل الأستاذ الفاضل مجيد جابك أطال الله في عمره مع الشاعر المقتدر عبد الرازق عبد الواحد ولكن مع الأسف اختلفا على أسلوب العمل، فعهدنا الصياغة للشاعر عبد الرازق كاملة وقد أبدع غاية الإبداع رحمه الله وجزاه الله عنا خير جزاء.

نجح المشروع بتفوق وقد كُرِم المتطوعون باحتفال مهيب ومنحوا شهادات الشرف والتقدير باستحقاقٍ عالٍ، وفرح الجميع بهذا الإنجاز الفريد المشرف، بهمة الغياري والكرماء أنجزت عدة طبعات ناجحة وأصبح الكتاب المقدس مبارك اسمه في كل بيت تقريبًا نتباهى ونعتز به.

تمر السنوات فيتعلم عدد من المندائيين اللغة المندائية، وبدل البحث والتقصي والتخطيط لإنجاز مشاريع نوعية جديدة، يختلفون على كلمة وجملة وفق اجتهاداتهم، ويدخلوا الجميع في جدل بيزنطي (هل الدجاجة من البيضة أم البيضة من الدجاجة)... كما يتجادل الأساتذة هل الله موجود قبل الوجود أم الوجود (الأكوان) موجودة قبل الله... هذا باختصار شديد، فريق يقول إن الوجود سبق الله، والفريق الآخر يسفه التفسير ويقول إن الله سبق الوجود:
لنناقش هذين التفسيرين روحانيًا وعلميًا؛ روحانيًا ممكن الاحتمالين فالروحانيات لا تراها ولا تلمسها، وفيها الخوارق والمعجزات، وكل من يدعي أنه عليم

بالروحانيات هو غير صادق، ولا يجوز أن نخلط بين الروحانيات والماديات... أما علميًا فلو فرضنا أن الله موجود قبل الوجود، فهل جاء من فراغ، بمعنى أنه جاء من لا شيء؟، إذا قلنا إنه انبعث من ذاته (من نافشي أفرش)... تصح روحانيًا ولكنها لا تصح علميًا، أي ماديًا... أين الكيمياء؟ أين الفيزياء؟ أنا هنا أريد تفسير بعض النصوص، وأقول إن الوجود كان موجودًا ولكنه غير منظم ولهذا حدث الانفجار العظيم في الكون (الوجود) وانبعث الحي العظيم لينظم هذا الكون العظيم وليخلق الله النشمثا والملائكة النورانيين، وبدأ الحياة في العالم العلوي (آلمة دنهورة ومن ثم في العالم السفلي آلمة دهشوخة).

هناك نقطة مهمة؛ هل كلمة هيي تعني الحياة أم الحي (الله)... أظنها على قدر فهمي ومنقشاتي أثناء ترجمة الكنزا ربا وبعده أنها تعني الحياة، ولهذا من سياق الحديث هناك هيي قدماي (الحياة القديمة الأولى) وهناك هيي تنيناي (الحياة القديمة الثانية)، وهناك هيي ثليثايي (الحياة الثالثة)... إذ لا يعقل أن نقول الحي القديم الأول والحي الثاني والحي الثالث، هذا كلام غير صحيح لأن الله واحد أحد كما ورد في بوثة التوحيد في الكنزا ربا، وهذا ما تؤيده كتب الأديان الموحدة، ولأن الحياة تعني الحي، والحي يعني الحياة، فالمعنى واحد...

كلها آراء قد تصيب وقد تخيب ولكن بالنقاش والحوار الإيجابي نفعل كثير من التفاسير الصائبة وبالتالي لا داعي للتغيير لغرض التباهي وفرض رأي وإنما بالتفسير المتفق عليه نعطي المعنى الصحيح والدقيق.